الاتجاه الثوري في الشعر النسائي العربي بين جيلين
نماذج مختارة

اعداد
كلثوم رمضان رحيمة

تحت إشراف

أ. د. عزة محمد أبو النجاة
أستاذة الأدب والنقد الحديث المساعد
كلية البنات – جامعة عين شمس
رئيسة

د. بسمة محمد بيومي
أستاذة الأدب والنقد الحديث المساعد
كلية البنات – جامعة عين شمس
مشاركة

ملخص البحث

شهدت الحركة الشعرية في الوطن العربي نهوضًا واتساعًا في بدايات القرن العشرين، ومع هذا الاتساع دخلت المرأة معترك الحياة وشاركت الرجل في مجالاتها المختلفة، ومع النهضة العربية والتحرر

الفكري الذي شهدته الفترة منذ الخمسينيات وحتى الآن ظهرت الحركة الشعرية النسائية كانطلاقة جديدة واستطاعت الشاعرة العربية المعاصرة أن تعبر عن عاطفتها وأحلامها عبر الأدب.

ونظرًا لما للثورة من أهمية كبرى في تاريخ الشعوب باعتبارها انتفاضة الشعب ضد الظلم الذي يتجاوز الحدود، فقد نسجت شواعر الجيلين بعض القصائد المهمة على الاتجاه الثوري وقد قادهن التمرد على قيد العادات والتقاليد البالية وتجسد حبهن للوطن وإخلاصهن له.

سيتبع البحث المنهج الاستقرائي، وتتوزع بعد التمهيد الذي سيحوي التعريف بالشاعرات من الجيلين ما يلي:

أولًا: الثورة على الظلم والتقاليد السائدة.

ثانيًا: حب الوطن والحزن على مصيره.

ثم النتائج وقائمة المصادر والمراجع.

Summary

The poetic movement in the Arab world witnessed progression and expansion in the beginning of the twentieth century. With this expansion, the women entered the arena of life and world of work to share the men in the different fields of life. With the Arab renaissance and the intellectual emancipation occurred in the period from the 1950s until now, the poetic movement of women emerged as a new breakthrough, and the cotemporary Arab women were able to express their passion and dreams through literature.

In view of the great importance of the Revolution in the history of peoples as it is considered the people's uprising against injustice that transcends borders, the poets of the two generations has woven some important poems on the revolutionary trend, led them by the rebellion against family restrictions and the dilapidated traditions as well as embodying their love and loyalty for homeland.

The research will adopt the inductive approach, and it will be distributed after the introduction that will contain the definition of female poets of the two generations according to the following:
First: the revolution against injustice and prevailing traditions.
Second: the love of homeland and grief over its fate.
Then the results, and the list of sources and references.

تمهيد:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على الاتجاه الثوري في الشعر النسائي العربي بين جيلين (نماذج مختارة) من منتصف القرن العشرين حتى وقتنا الحاضر.

ومع وفرة الأسماء النسائية على امتداد الخارطة العربية اختارت الباحثة عددًا من الشاعرات العربيات عبر جيلين مختلفين، ففي ضوء ما كانت تعيشه المجتمعات العربية دينيًا وثقافيًا وتاريخيًا تفجر صوت كل من نازك الملائكة، وفدوى طوقان، وجليلة رضا بوصفه صرخة وجود في منتصف القرن العشرين، وظهرت سعاد الصباح في ستينيات القرن العشرين، أما الربع الأخير من القرن العشرين فكان ظهور الشاعرات روضة الحاج، ووفاء العمراني، وعائشة المغربي، وابتسام المتوكل.

فكان أن اتجهت الباحثة إلى رصد الاتجاه الثوري في شعر هؤلاء الشواعر جاعلة من الشواعر اللاتي ستتناولهن بالدراسة قسمين:

القسم الأول: ويمثل الجيل الأول الذي تعد نازك الملائكة (العراق) الباب الواسع الذي فتح أمام التجديد في الشعر العربي باعتبارها من أوائل الشعراء الذين كتبوا القصيدة العربية الحديثة التي تميل إلى الأسلوب التصويري البسيط وتبتعد عن الزخرف اللفظي، وتتحرر من الوزن والقافية التقليديين، ثم تأتي فدوى طوقان (فلسطين) التي مثّل شعرها أساسًا قويًا للتجارب الأنثوية في الحب والثورة، واحتجاج المرأة على المجتمع، تليها جليلة رضا (مصر) صاحبة الشعر الوجداني وما يضم من حب ملتهب في أسلوب جديد على شاعرات الشرق، إذ نلمح في شعرها الوحدة القاسية والحيرة البالغة، ثم سعاد الصبّاح (الكويت) تلك الشاعرة الرومانسية التي جعلت من الدفاع عن كيان المرأة قضيتها الأولى إلى جانب الحب ومخاطبة إنسانية الإنسان.

أما **القسم الثاني** فيمثل الجيل الثاني الذي يمكننا أن نعد روضة الحاج (السودان) فاتحته حيث امتاز شعرها بحداثة أفكاره وامتزاج حلاوة الكلمات مع عذوبة المضامين، ثم وفاء العمراني (المغرب) التي استطاعت أن تحتفظ لنفسها منحى جديدًا أو مغايرًا أثبتت به جدارتها الفنية والجمالية، تليها عائشة المغربي (ليبيا) ذلك الصوت الشعري الذي له بصمته الشعرية الخاصة بما يتميز به إنتاجها من رومانسية واضحة، تأتي بعدها ابتسام المتوكل (اليمن)، لتشكل صوتًا مميزًا، وتوجهًا خاصًا، وموضوعات شعرية تكثر فيها من مستجدات الحياة اليومية من منظور ذاتي باتجاه المجتمع تارة وباتجاه الوطن تارة أخرى.

وسوف نتناول بعون الله نماذج من نتاج هؤلاء الشواعر لأن هذه النماذج تمثل أيديولوجية كل واحدة منهن ومحاولة رصد الخصوصية التي تعطيها كل شاعرة لقصائدها الشعرية عندما تستقرئ مخزونها الشعري، والتماس ذلك التقارب بين القصيدة والمرأة في استحضارها للحالة الشعرية لأن الوسيلة الوحيدة التي تمتلكها المرأة الشاعرة للإفصاح عن نفسها هي الكلمة كاشفة عن همها الفكري أو السياسي أو الاجتماعي.

وقد اكتفى البحث بعرض شواهد من بعض مقطوعات أشعار الجيلين في الكثير من القصائد والعناية بطبيعة التجربة وتعدد الرؤى ومراعاة القيم التعبيرية والفنية في تحليل النصوص، وذلك مع ملاحظة مناحي التميز والتفرد وسمات التحديث ورصد الفروق بين الشواعر في معالجتهن للموضوع الواحد.

والقارئ لهذا البحث يلاحظ الترقيم الذي يصاحب بعض الأبيات للقصائد، وذلك لأن الباحثة تقتطف من القصيدة ما يناسب الموضوع المدروس ويدل عليه.

مقدمة:

تعد الثورة من الظواهر المهمة جدًا في تاريخ الشعوب، وهي كفعل إنساني عبارة عن عملية هدم يليها بناء، "ومن خلال الثورة يسعى الإنسان إلى التحرر من الأنظمة الدكتاتورية، وتحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية"[1].

(1) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1981م، ص56.

والشعر هو نتاج إبداعي يفصح عن حالات عديدة كالبوح الوجداني، والتصوير النفسي لحالات شعورية متعددة، "كما أن الثورة تصل بعض الأحيان إلى العنف وقد تحدث فيها قضايا دموية للخلاص من النظام القديم كما هي فيها"[2]، وثمة علاقة وارتباط بين الثورة وتكوين الشاعر الأدبي وإنتاجه الشعري وذلك "لأن الثورة ظاهرة اجتماعية فلابد للأديب والشاعر الانصهار في مجتمعه، والانشغال في قضاياه التي تعد جزءًا من يومياته الطبيعية وكثير من الأدباء والشعراء تجد نتاجهم متصلًا اتصالًا وارتباطًا واضحًا بالمجتمع في مختلف صوره وأشكاله"[3].

ولم يكن شعر الثورة تعبيرًا عن رؤية ضيقة تتمثل في الدفاع عن خطاب سياسي معين، "بل هو النقطة المضيئة التي تنطلق منها الثورة، وعبرها تخترق القناعات السائدة، وتكرس فاعلية الشعر وتماسكه وجرأته وذلك ما يقوي تأثيره في مجرى الأحداث والوقائع ومصائر المجتمعات والشعوب"[4].

ويبدو أن هذا الدور العميق للشعر هو الذي يجعلنا نؤمن بأن ثورة الشعراء هي مجال لتفعيل وترسيخ مبادئ الحرية والعدالة والحق، وليس فضاء إعلاميًا لإيصال أفكار الثورة وتمجيدها، "فالشعر والثورة عنصران متلازمان؛ لأن الشعر حين يسبق الثورة يمهد الأرضية لها، وحين تقوم لا ينتهي دوره، بل يعمق أوجه الوعي فيها، ويرسخ قيم الإحساس بدورها"[5].

ولا شك أن أغلب شواعرنا كُنّ يفكرن في يقظة الشعوب، وينتظرن بريق الثورة، كما عبرن عن حبهن الكبير للوطن والحنين الدائم إليه، وإلى انتمائهن واعتزازهن بالمكان.

أولاً: الثورة على الظلم والتقاليد السائدة:

ظل الإنسان العربي عهودا طويلة يعاني من الظلم والاستعباد في المجتمع الذي تحكمه أنظمة ظالمة داعيًا إلى الثورة والتضحية من أجل الوطن.

وبقي المجتمع لفترة طويلة في نزاع مع القوى الاستعمارية، وكلما حاول النهوض من مصيبة عصفت به مصيبة أخرى مما جعل الإنسان العربي يعاني القهر والشقاء كثيرًا.

وبما أن "الأديب ابن مجتمعه فقد عانى مما يعانيه كل فرد من أفراد هذا المجتمع، فهو قلبه الذي يحس ويشعر، ولسانه المعبر المؤثر المتأثر لهذا راح يرسم معاناة المظلومين الذين مارست عليهم قوى الاحتلال والاستغلال كل أنواع القهر والظلم والاستعباد"[6].

وتمثل الشاعرة **سعاد الصباح** أول شواعر الجيل الأول ثورة على الظلم والتقاليد السائدة في معظم دواوين شعرها.

حيث تكتب شعرًا ثوريًا وتنشره على الملأ صادحًا في فراغ مهيب من خوف موروث، ورهبة مزمنة وكثير من الأحلام المكسورة.

"وكانت تعلن حضورها حيث تغيب تفاصيل مهامها الأثيرة على هامش اليوم والليلة، لتعيد توزيعها من جديد على هامش تاريخها كله"[7].

ومن ديوانها (أمنية) الذي كتبته في أوائل عمرها الأدبي، تعيد لنا التاريخ، وكأن الزمن يقول ما أشبه الليلة بالبارحة فنراها تصيح صيحة لم يستجب لها أحد، ووقائعها لا تزال تتفاعل مع مرور أكثر من عشرين

([2]) المرجع نفسه، ص57.

([3]) فطيمة وراد، الثورة الجزائرية في شعر عبد الوهاب البياتي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب حديث ومعاصر، إشراف الأستاذ: لخضر تومي، جامعة محمد خضر، بسكرة، الجزائر، 2017م، ص8.

([4]) قريرة زرقون، الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، بداياتها – اتجاهاتها – قضاياها – أشكالها – أعلامها، الجزء الأول، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2003م، ص324.

([5]) المرجع السابق، ص325.

([6]) تنيضب الفايد، جريدة الرياض، العدد 13401، الخميس 22 محرم 1426هـ، 3 مارس 2005م.

([7]) علي المسعودي، دراسات أدبية في شعر سعاد الصباح، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2014م.

عامًا على القصيدة التي تقول فيها:

أصدقائي، من كل أرض ولون
نحن للثأر، أيها الأصدقاء
اشْهدوا ما تَخُطُّهُ يدُ أمريكا
تلك الرَّبيبةُ النَّكراء
واشْهدُوا أننا سنثأر للهِ
ولله كم يهون الفداء.[8]

وتندلع ثورتها، فتهدر أمام التحول المرير لهذا الشعب الذي كاد يضيع بعد أن فقد الرجولة، ولم يترك إلا الخداع والقسوة، وتتحول الشاعرة بعينها إلى شعبها الخليجي الذي يرغب أن يستعيد هويته العربية ويدافع عن أم العرب، وهذه لبنان ضحية التفرق تمد يدها التي تخضبت بالدماء وتستغيث، تقول:

يا بلادي اخرجي من نشوة العُمُلات.. والأسهم
وانضمي إلى جيش العربْ
إن في لبنان أطفالًا يموتون
وعرضًا يُغتصبْ
اغْضبي أيُّتها الأرضُ
فإن الأرض لا يفْلحُها إلا الغضبْ.[9]

وفلسطين جانب من شعور كل عربي، وفصل في ديوان كل شاعر، وسعاد الصباح ترفع هنا صيحتها العربية في وجه الصهاينة، قائلة:

أجِّجُوا الحِقْدَ أيها الأشْقياءُ
لم تمُت في عُروقِنا الكِبْرياءُ
من حنايا عُروبتي رَضَع المَجْدُ
وكان العُلا، وهان الفداء.[10]

وهي تتمثل فلسطين في نصها، وتتحدث عن لداتها الأبطال وجدودها الأشاوس.

وتتوجه الشاعرة إلى مصر، وترى عبد الناصر مثالًا للوحدة العربية، فتحدثه في غيابه محاولة تعليم الشعب العربي معنى الوحدة وعدم التفرق، بدلًا من تسابقهم في شقاء شعوبهم الآمنة.

يا ناصِرَ العظيمَ...
هل تَقرأ في مَنْفَاك أخبار الوطنْ؟
فبعضُهُ مُغْتَصبٌ
وبَعْضُهُ مُؤجّرٌ
وبَعُضُهُ مُقَطَّعٌ
وبَعُضُهُ مُسالِمٌ
وبَعُضُهُ مُستسلِمٌ
يا ناصرَ العظيم
لا تَسْألْ عن الأعرابْ
فإنهم أتقنوا صناعة السبابْ
وواصَلوا الحِوار بالظفر وبالأنيابْ

([8]) قصيدة (صيحة عربية)، ص27 من ديوان (أمنية)، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992م.

([9]) قصيدة (إن جسمي نخلة تشرب من بحر العرب)، ص119، ديوان فتافيت امرأة.

([10]) قصيدة (صيحة عربية)، ص23، ديوان (أمنية)، مصدر سبق.

وحاصروا شُعُوبَهم بالنار والحِراب.[11]
وفي هذا نقمة على أعراب تخلوا عن قيمهم.
وفي دعوة مباشرة إلى الثورة على الظلم والطغيان تعلن باسم العرب التحدي لإسرائيل وأمريكا، فلابد أن يأتي فجر يوم جديد تشهد فيه بلادنا يقظتها العربية الواحدة والسلمية.
وتتوجه الشاعرة بدعوتها منادية الشباب وهي تأخذ سمت المصلحين الغيورين على مجتمعاتهم، فالشباب هم عدة الوطن:

يا شبابي.. إن فيكم كُل آمالي الرّفيعةْ
وبلادي بين أيديكُم تُراثٌ ووديعةْ
فانْهَضُوا من غَفلة الوعي، ومن أسرِ السّكينَةْ
قبل أن تَغْرَق في الطوفان أعلام المدينةْ
انْهَضُوا.. لا النار والبترول في أيدٍ أمينةْ
لا.. ولا أنتُم على وعْي بأطْماعٍ دفينَةْ
اطرحُوا كُل بريقٍ، وتناسوْا كلّ زينةْ
واجعلوا أيديكم دِرْعًا على الحق أمينةْ0[12]

فهي تدق ناقوس الخطر، وتحذر من الخطر قبل وقوعه، ولا ننسى التحذير من (البترول) فهو سلاح ذو حدين، وأداة سلبية إذا لم يكن في (أيد أمينة)، فتقول:

يا كُويتي، يا بلادي، يا حياتي، يا مصِيري
هأ أنا أشْعُرُ أني، ضَلَّ في الأرض مسيري
فخُذي العِبْرة منّي.. وامْسَحي زيْفَ الدَّهانْ
وأفيقي لِلعَوالي قبل أن يمضي الأوانْ
حرّكي فيكِ الشَّباب الحُرّ.. نحْو الأمْنِياتْ
ليس في الدنيا ثباتٌ.. بل حياةٌ أو مماتْ
ارْجعي ماضيكِ الخالد حُلْوَ النَّغماتْ
وارْفعي في العَرَب المِشْعَلَ.. تحلُّ الأمْسياتْ.[13]

فهي تدعو قبل فوات الأوان أن تتخلص من الزيف والبريق الكاذب، وأن تعيد ماضيها الأخلاقي الجميل، وأن تنخرط في المحيط العربي الزاخر.
وهي تبدو، أي الشاعرة هنا (داعية نهضوية بامتياز) فتتوجه إلى هذه الأرض التي تشرب بترولًا طالبة منها أن تغضب وتثور، قائلة:

اغضبي
أيتُها الأرض التي نامتْ طويلًا
في فِرَاش من ذهبْ
اغْضبي..
أيتُها الأرضُ التي تَشْربُ بترولًا
وتبني عرشها فوق الحطبْ
اغْضبي..
أيتُها الأرضُ التي أسْكَرَهَا المالُ

([11]) قصيدة (من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر)، ص143 من ديوان (فتافيت امرأة)، مصدر سبق.
([12]) قصيدة (ارفعي المشعل)، ص65 من ديوان (إليك يا ولدي)، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992م.
([13]) القصيدة نفسها، ص71–72.

وأعْمَاها البَطَرْ
يا بلادي
اخرجي من نشرة العملات والأسهم
وانضمي إلى جيش العرب.[14]

وهي تطالب بالغضب الذي يعد في نظرها مفجرًا لطاقات المثقف العربي إثباتًا لفاعلية الذات العربية، ومدى الصمود من أجل هزيمة الواقع "فيتأصل في الانتماء العربي وتتعالى الهوية الحقيقية على الاستسلام، ويعيد الفحص عن الضروري في ضوء الحاضر وحاجات الإنسان المعاصر ويؤجج الصمود الفكري رسالة الكلمة، ويوقظ الطاقات، ويفعل حركة الانتماء في النفوس"[15].

ومن هنا فإن الأمر ظل متوهجًا في نفس سعاد الصباح "لأن المستقبل في نظرها يعد بوحدة الأحلام العربية يقودها من يعرض صدره للحربة وجبينه للطمة ويحمل إلى شعبنا السلام والحرية والخصب ورؤى الولاء الجديدة"[16].

وتتشابه **نازك الملائكة** مع سعاد الصباح في تناولها للدول والعواصم العربية دعوة لاستنهاض الهمم واستقطاب مشاعر الجماهير، فتعرض مأساة الواقع الجهم، ومغالطات الأعداء، وفهم العالم المعكوس لطبيعة كل من الظالم والمظلوم، فتقول:

لا تجْزَعي حتى إذا
ضربت شواطِئُنا سياط الرياح
واغْتالتْ قوافلنا مفازات الضَّياع بلا حُدود
حتى إذا ما عَشَّشَتْ في جِلْدنا مُدن اليهود
لا تحْزني أُخْتَاه، إنْ رَاحَت تُطارِدُنا الرّيَاح النَّاقِمَات
ويَقتفِي خُطُواتُنا الغَيم اللَّدُود[17]
وتستمرُّ بأدلة إشراقية تقيس الواقع الجهم:
إن كان قد دَفَق الرحيقُ
في عُمْق أعماق المُلوحة، فالطريق
من حيثُ نحن إلى فلسطين السّليبة
سيهلُّ نبض فيه من جُثث القُرى السود الكئيبة
وستُمطِر الدنيا على المُدن الجَديْبِة
ومن اليباب سيطلْعُ الغُصن الوريقْ.[18]

وما أن تصل إلى هذه الحقيقة إلا وتأخذ في تنميتها بكل ما تملك من وسائل وأولها التركيز على مراكز صنع القرار "إن الحس القومي الذي يعيشه الفرد لا يمكن أن يفقد ركنًا مهمًا من أركان هذا الحس في القرن العشرين وهي قضية فلسطين، هذه القضية التي عاشتها أجيال من أمتنا العربية"[19]، والشاعرة ترسم حياة العرب التي لا تعني شيئًا بدون التحرير وهي تؤمن إيمانًا كبيرًا بالإرادة العربية وبالصمود القومي تجاه الاستعمار، قائلة:

تبقَى فلسطين لنا نَغْمَةً قُدُسيّة عَلى فَم المُنشد

([14]) قصيدة (إن جسمي نخلة تشرب من بحر العرب)، ص127 من ديوان (فتافيت امرأة)، مصدر سبق.

([15]) مها خير بك ناصر، هدم وبناء، منشورات شركة النور، بيروت، ط1، 2002م، ص142.

([16]) سعاد الصباح، هل تسمحون لي أن أحب وطني، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 1997م، ص165.

([17]) قصيدة للصلاة والثورة، ص220، ديوان للصلاة والثورة، الأعمال الشعرية الكاملة (نازك الملائكة)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002م.

([18]) قصيدة للصلاة والثورة، ص222، ديوان للصلاة والثورة، مصدر سبق.

([19]) ماجد أحمد السامرائي، الموجة القلقة (نازك الملائكة)، منشورات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، العراق، ط1، 1975م، ص73.

ونسْـرُنا الشَّـامخُ لَـنْ يَنْثَنِـي أمَـــامَ بـــاب الـــزَّمن
المُوصَـــــــــــد[20][21]

فكانت قضية فلسطين بالنسبة لها رواية خيالية، أعداؤها هم الذين يمثلون أعداء الثورة العربية، حيث ارتفع صوتها عاليًا على غير عادته، ولعل ذلك لطبيعة الغرض المتناول وهي تؤمن إيمانًا كبيرًا بالإرادة العربية وبالصمود القومي تجاه الاستعمار.

فتأخذ دورها في الكفاح مع الفدائيين، وتتوحد روحها مع أرواحهم وتسقط شهيدة كل يوم مع شهدائهم، فتقول:

كل يوم تموتين في القدس، كل صباح
يقتلونك، تنقل آبار موتك سود الرياح[22]

ويزداد غليانها، وتستحيل روحها إلى قوى تقاتل، يتحول ترابها إلى عاصفة، يصبح الياسمين فوق قبرها لغمًا، تصبح عظامها تبكيرة وقنابل، وهي تقول تهز كرى الحالمين:

تنْهَضُ القُدْسُ، تزحفُ أنهارُنا، يَسْتَحيل
صمْتُنا خِنْجرًا، مدفعًا، ويصيرُ النَّخيل
لَهَبًا زاحِفًا ويُقاتل
ونُحارب أعداءنا شُرْفات المنازل.[23]

ولها قصيدة (سوسنة اسمها القدس) ترصد إنذارها المهول:

إذا ما عَويلُ رياحِ المنَايا
غدًا مرّ يمْحو صَدى عُمْرنا
وصيّرنا المَوتُ مَائدة الدُّود
واستنْبَتت العوْسَج[24] المتشعّب في شَفتيْنا وفي شَعرنا
وسَافَرَ طُوفانه في شَواطِئنا الخُضْر.[25]

وكأنها تريد أن تقول وما دامت هذه هي النهاية فلماذا الإحجام عن إنقاذ القدس، وتعريض النفس للمساءلة والتوبيخ.

فالشاعرة أفاقت على أبشع ما يفيق عليه العربي الذي كان يحلم بالجنى الداني القطوف، وقضية فلسطين بما تحمل من التخطيط الماكر هي لب المأساة، فهي لا ترى فلسطين مجردة على الخريطة، إنما تراها بدلالاتها الحدسية المثارة بحنين الذكرى المشحونة بآلام المحنة ومعاناة السنين. وتعد حصيلة ما فعل هو دائرة الهوى القومي عند الشاعرة حيث إن الثورة نتيجة للواقع البائس وهي صرخة لمشاعر الثائرين في غاية واحدة وهي عودة فلسطين عربية.

([20]) الموصد: وصد الشيء أي ثبت فهو واصد، أوصد الباب أغلقه فهو موصد. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (طبعة جديدة منقحة)، 2000م، المجلد الخامس عشر، ص222.

([21]) قصيدة ثلاث أغنيات عربية، (النسر المطعون)، ص496 من ديوان (شجرة القمر)، نازك الملائكة، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، ط2، 1979م.

([22]) قصيدة (أقوى من القبر)، ص25، ديوان للصلاة والثورة، مصدر سبق.

([23]) قصيدة (أقوى من القبر)، ص26، ديوان للصلاة والثورة، مصدر سبق.

([24]) العوسج هو نبات من النباتات المشهورة منذ آلاف السنين، هي نبتة متجيرة، شوكية معمرة، لها ساق خشبية متفرعة والفروع متعرجة ومتداخلة لونها أخضر وعند النضج يتغير إلى اللون الأحمر، حلوة المذاق وتؤكل، تحتوي على بذور كثيرة، والبذرة شكلها كلوي.

([25]) قصيدة (سوسنة اسمها القدس)، ص39، الأعمال الشعرية الكاملة، نازك الملائكة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002م.

لا يَجُوب سُفُوحها غيْري أنا
غير الأغاني، والعُروبة، والرّياح.[26]

هكذا توافرت الشاعرة بكل ما تملك من مشاعر وأحاسيس على العمل من أجل قضية فلسطين، وأحكمت الدائرة وعاشت بوجدانها الصادق وأحاسيسها المتفاعلة.

"وتذهب إلى مصر وإلى عاصمتها القاهرة في شهر آب (أغسطس) عام 1973م"[27]، وتقول:

فلْتعلمي يا قاهرة
إنَّ العَدُو حَرْبه مُقامرة
وظِلّه غَيْمَة صيف عَابِرة.[28]

"وتتعاطف الشاعرة مع ثورة المليون شهيد، ثورة الجزائر"[29]، حيث كانت تضرب أروع الأمثلة بالتضحيات الجسام من أجل انتصار القومية العربية في هذا القطر. فكانت تعتبر انتصار ثورة الجزائر انتصارًا للإنسان العربي في كل مكان، وعبرت عن ذلك بنضال المناضلة الجزائرية في التضحية والفداء حتى تكللت الثورة بالنصر.

ونحن منحنا لوَصفِ جِرَاحها كُلّ شفّة
وجرحنا الوصف، خدش أسماءنا المُرهَفَة
وأنت حملت القُيُود الثقيلة.[30]

فنلحظ مما سبق أن ما ميّز تجربة الملائكة هو حسها وشعورها العروبي المتدفق الذي تؤمن به وتكتب منطلقة من حسها العروبي وليس القُطْري، وهذا ما وسع مداركها أكثر ومنحها بعدًا إنسانيًا "كبيرًا، خصوصًا وأنها لم تكن حزبية بالمعنى السياسي بل عروبية بالمعنى الإنساني الشامل"[31].

فارتبطت الفكرة القومية بمحاولة تجسيد الهوية من خلال الحس العاطفي الذي شكله شعور الشاعرة تخصيبًا لأحلامها وطموحاتها.

ويأخذ شعر **فدوى طوقان** واقعًا خاصًا لصلتها الوثيقة بالشعب الفلسطيني وقضيته فاتجهت في أبعادها المختلفة من بيع الأراضي إلى السماسرة اليهود، إلى تغافل العرب في فلسطين عن الخطر المحدق بهم وانصرافهم وانغماسهم في ضروب اللهو والفساد.

وهي تعبر عن التطور الذي وصلت إليه مع موضوع المقاومة في معظم قصائدها فلا تنازل عن الأرض فنراها تغني لاستشهادي الثورة، وهي تكشف سر الثورة وكيفية نهوض الثوار فنجد عندها نبرة التحدي عندما جعلت من الهامش سجنًا لابد من مواجهته ووقفت أمام أعدائها للانتقام ومشاعرها تمتلئ بالغضب وتتفجر بالحقد نحوهم، قائلة:

ليت للبراق عينًا
ليت
آه يا ذُلَّ الإسار!
حَنْظَلًا صرت، مَذاقي قاتلٌ
حِقْدي رهيب، مُوغلٌ حتى القَرارْ.[32]

([26]) قصيدة (مرايا الشمس)، ص14 من ديوان (يغير ألوانه البحر)، نازك الملائكة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط3، 1998م.

([27]) ديوان نازك الملائكة، ديوان شعر، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط1، 1970م، ص17.

([28]) قصيدة (شمس القاهرة)، ص39، ديوان للصلاة والثورة، مصدر سبق.

([29]) ماجد أحمد السامرائي، الموجة القلقة (نازك الملائكة)، مرجع سبق، ص73-74.

([30]) قصيدة (نحن وجميلة)، ص505، ديوان شجرة القمر، مصدر سبق.

([31]) سامي خشبة، رئيس تحرير المجلة الثقافية الجديدة، (نازك الملائكة وتجديد الشعر العربي – ملف خاص)، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، العدد 205، أغسطس، 2007م، ص49.

وتبرر موقفها الدفاعي الانتقامي، بهذا المنطق الواقعي الصادق:

آه يا حِقْدي الرَّهيبَ المُسْتثار
قَتَلُوا الحُبّ بأعْمَاقي، أحَالُوا
في عُرُوقي الدَّم غِسْلِيْنَا وَقَار!![33]

وهكذا يكون رد الفعل الإيجابي، حين تصدر المشاعر والأحاسيس النضالية عن قلب يفجره الظلم غضبًا وحقدًا ثوريين، ويلذ السماع لوعيد الشاعرة الذي يمحو آهاتها السابقة ويسجل لها موقفًا مناضلًا، شعورًا وشعرًا.

والشاعرة تتحدى الظلم بصفة عامة ليس في فلسطين أو الضفة الغربية فقط، بل يتعدى إلى الأردن التي تتجرع الذل والمهانة من محتل بغيض يهجر أهل فلسطين إلى الأردن، قائلة:

والضّفّتان: ثُرِدِان حُرّيتي!
ومعابِر الرّيح الغَضُوب
والرّعد والإعْصَار والأمْطَار في وطني
تردّدْها معي:
حُريتي! حُريتي! حُريتي![34]

وبذلك فهي تتحول مناضلة على كافة الصُعَدُ، محرضة كثرة من الثائرين، ليكونوا بركان ثورة في كل مكان.

في الأرضِ في الجدران في الأبوابِ في شرفِ المنازِل
في هيكل العَذراء في المحراب في طريقِ المزارع
في السجْن في زنْزانة التعذيبِ في عُودِ المشانِق.[35]

وهي تتحدى إجراءات الاحتلال من سجن وتعذيب وحرق، وتناضل وتقاوم حتى ترى الراية الحمراء التي تفتح كل الأبواب المغلقة بإجرام الاحتلال، وبعدها يعم النور.

ونراها في هذه القصيدة تبين الكفاح الفلسطيني والصمود على الأرض والإصرار على تحريرها من المحتل الغاصب، قائلة:

في بُهْرَة الذُّهول والضَّياع
أضاء قنديل إلهيٌ حنايا قَلْبه
وشعَّ في العيْنين وهج جمْرتين
وأطلق المفكرة
وهبّ مازن[36] الفتى الشجاع
يحملُ عبء حُبّه
وكلّ همّ أرضه وشعبهِ
وكُل أشْتات المُنى المُبعثرة!!
ماضٍ أنا أُماه
ماضٍ مع الرّفاق

([32]) قصيدة (آهات أمام شباك التصاريح)، ص417، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، دار العودة، بيروت، ط2، 2015م.

([33]) قصيدة (آهات أمام شباك التصاريح)، ص417، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، مصدر سبق.

([34]) قصيدة (حريتي)، ص34، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، مصدر سبق.

([35]) القصيدة نفسها، ص34.

([36]) الفدائي (مازن أبو غزالة)، من محافظة نابلس، استشهد في أشد معارك المقاومة في روابي طوباس 1967/9/30م استشهادًا بطوليًا رائعًا بعد مقاومة عنيدة استمرت ثلاثة أيام، نفدت الذخيرة وأصبح مازن وجهًا لوجه مع العدو.

لِموْعدي.. راضٍ عن المصير
أحْملُه كصخْرة مشدودة بعُنُقي
فمن هنا مُنطلقي..
أبذله لأجْلِها، للأرض.[37]

فتروي لنا حكاية الأم الفلسطينية وولدها المناضل حينما يودعان بعضهما وتنتابها الدهشة والحيرة أمام صمت الأمة العربية حيال ضياع الجزء الأكبر من فلسطين.

كما تستنهض أمتها العربية، ولا تفقد الأمل بحتمية بزوغ الثورة وانطلاقها من معاناة الشعب الفلسطيني:

ستنْجلي الغَمرة يا موْطني ويَمْسَحُ الفجر غواشي الظّلَم

لكن للثأر غدا هَبّةَ جارِفة الهول عَصُوفًا عمم[38][39]

وهي شاعرة ذات طابع ثوري ومزاج يرفض الظلم وذات مشاعر تفجر صوت الشعب وتدافع عن آماله وطموحاته في كل فترات الكفاح التي تشهدها فلسطين منحازة لنضال الشعب الفلسطيني لتأثرها بالصراع المرير الذي يواجهه شعبها مع الصهاينة فانعكس هذا الصراع بكافة أبعاده على شخصيتها ونفسيتها، فنراها تحاول أن تتجاوز الواقع وتؤكد على تعميم القضية وأنها قضية المرأة العربية عامة وذلك رغم تحطمها وانهزامها داخليًا.

أتحدّى السَّجان، أسخَر بالعُرفِ
بما شادت التقاليدُ حولي
كان شِعْري مِرْآة كل فتاة
وَأدَ الظلم روْحها المحْرومة.[40]

ولهذا فضلت أن تنسحب من الواقع إلى الحلم والوهم وغرقت في بحر الخيال فهي تفضل العيش فيه على أن تعيش في واقع زائف، قائلة:

فَتَنأين عن واقع راعبٍ إلى عالمٍ عَبْقري سَحيق
هو الوهْمُ، عالمكَ الشاعري المِثاليّ، مَسْرى الخيال الطّليق
تَوحّدت فيه بأشواقكِ الحَيارى، بهذا الحَنينِ العميقْ.[41]

وقد وجدت سلوتها في الهروب من الواقع والثورة على التقاليد الزائفة، وانطلقت من هذه الأمور وكان من الطبيعي أن يزداد فهمها للواقع، ومن ثم اتسع إدراكها لأبعاد التجربة العامة حين انصهرت مع المجتمع المكافح وناضلت معه في خندق واحد.

وتعلن أنها مسحت دموعها وأظهرت حبها وإيمانها بالأرض والإنسان، وأنها تقف أمام الجرح لتقهر اليأس والضعف وتتطلع إلى المشرق القادم فتهتف في فرح ثوري، وتقول:

([37]) قصيدة (الفدائي والأرض)، ص120، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، مصدر سبق.

([38]) العمم: عظم الخلق في الناس وغيرهم، والعمم: الجسم التام، يقال: إن جسمه لعمم، والعمم في الطول والتمام، والعمم من الرجال: الكافي الذي يعمهم بالخير، لسان العرب، لابن منظور، المجلد العاشر، ص287.

([39]) قصيدة (بعد الكارثة)، ص90 ديوان (وحدي مع الأيام)، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1952م.

([40]) قصيدة (هو وهي)، ص75، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، مصدر سبق.

([41]) قصيدة (هروب)، ص30، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، مصدر سبق.

56- أحِبَّائي، حِصان الشعْب جاوزَ
57- كبوة الأمسِ
58- وهَبّ الشَهمُ مُنْتفِضًا وراء النَّهر
59- أصيخوا[42]، ها حِصان الشعْبِ
60- يَصْهَلُ واثق النَّهْمَة[43]
63- وتِلْك مَواكب الفُرسان ملتمة
64- تُباركه وتَفْديه
74- ولن ينْداح في الميْدان
75- فوْق جِباهنا التَّعبُ
76- ولن نرْتاح، لن نرْتاح
77- حتى نطْرَد الأشْباح
78- والغرْبان والظلمة.[44]

فهي ترى في الشعب بجموعه المجندة، الفارس الأكبر، والبطل الحقيقي الذي سيعرف كيف يأخذ حقه، ويسترد ما سلب منه ويبني حياته على نحو جديد، "تواكب المشهد الفدائي مواكبة تكاد تكون تفصيلية من موقع الفلسطينية الجديدة في ظل الاحتلال"[45].

فعبرت عن قيم الثورة والاستبسال في سبيل الدفاع عن الحق الضائع والوطن المسلوب، ورأت في المقاومة بعثًا وتجديدًا وأنه ميلاد أجيال جديدة تكون قادرة على مقارعة الطغيان، وزلزلة أركان المعتدي غير مستحيل، وأكدت على أن الشهادة، هي بعث وولادة.

والشاعرة **جليلة رضا** تدعو إلى الثورة على الظلم، فالأرض أرضنا من التاريخ الطويل.. وحين يضيع شبر منها يضيع شيء كثير ونفيس.

الرَّسْم والألْحان والأشْعار
عَبَث إذا عَبَثتْ بنا الأقْدار
صَلّيت للكلمات عُمْرًا كاملًا
وجثت على مِحْرابها الأفْكار
وكَفَرتُ بالكلماتِ حينَ تَرنَحتْ
وأصابها يوم الهَوان دُوار.[46]

وفي موضع آخر تظهر جليلة رضا تروي قصة شعب أيامه شقية وهزيمته جسيمة وجاثمة فوق الصدور وفوق سينا، قائلة:

وكان لنا أن نَخوض الوَغى ومن أي باب له نَقْتَحم
فَخُضْنا المَعارك ضد الغَلاء ونقص الفِراخ وسعر اللحم
وخُضْنا القتال لأجل الثّراء وبيعت لأجل الثّراء الذّمم

(42) أصيخوا: أصاخ، إصاخة فهو مصيخ يقال أصاخ له: استمع، وأصاخ عن الأمر: رجع، صاخ في الأرض دخل فيها. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الأول، مكتبة الشروق الدولية، مصر، القاهرة، ط4، 2004م، ص93.

(43) النهمة هي بلوغ الهمة في الشيء، والنهمة: الحاجة، لسان العرب، لابن منظور، المجلد الرابع عشر، ص373.

(44) قصيدة (لن أبكي)، ص131 من ديوان (الليل والفرسان)، فدوبطوقان، دار مصر للطباعة،ط1، 1969م.

(45) غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1970م، ص410.

(46) قصيدة (القدر)، ص11 من ديوان (أنا والليل)، الناشر مكتبة مصر، مصر، ط1، 1961م.

وخُضْنا الليالي لأجل النِّقاش ومن أجْل أغْنية أو نَغَم[47]

وفي قصيدة ذات عنوان صريح مباشر[48] معبر عن هذا المطلب تقول في مطلعها:

مَزّقوا الظلْم وذودوا عن حِمانا إن يوم الفتك بالأعْداء حانا

يا أباة الضَيمِ هُبُّوا..! إننا قد سئمنا اليوم إغْضاء كَفانا

واجهوا الواقع حُرا واضِحًا إنْ يكُن في الواقع الحُرّ أسانا

وابْعَثوا الحَق وفُكّوا قيْده وامْلأوا بالعَزْم روحًا وكيانا

فهي ترفض الذل والمهانة أن تصيب أماكن الأمجاد، فقد حان وقت القضاء على العدو ومواجهة الواقع، حتى وإن كان يحمل لنا الأسى فنطلب ببعث الحق وفك القيد ونملأ الدنيا عزمًا وإرادة.

إننا اليومْ سِلاح قاطِعٌ وعَقول تبصر الكَون افْتتانا

لمْ نعُد نَعْرِفُ إلا لُغَة من صَدَى البارود تَسْري في دِمانا[49]

وتطلب من شعبها أن يثور، ويحطم الأغلال، تدعوه بالقول الصارخ وبالحكمة البالغة في أبيات شعرية تفيض بالدعوة إلى الجهاد والحث على الكفاح والصبر حتى يتحقق المبتغى.

ونراها قائلة:

فامْضِ واضْرِب! فإن حقك دِرع كان يحْمي نبيّنا.. في الغارِ! [50]

تصرّ على أمره وتمعن في اللوم والتقريع، عسى هذا الشعب يفيق من الغفوة الثقيلة التي استبدت به فجعلته يغط في نوم ثقيل.

ومن الجيل الثاني تأتي **روضة الحاج** فتجوب الدنيا تبشر بسودان جميل لكنها ما إن وقفت على تلك الفجيعة على فشل الفكرة، فشل المؤسسة السياسية، سقوط المشروع الحضاري حتى انقلبت تنثر مناحات أخرى أشد أسى، وأكثر دموعًا، فتقول:

ليت شِعْري
بُحّ صوْتي
وأنا أبكي بلادًا سرقُوها
ثم مرُّوا فوق جرحي وانْتِظاري
فوق حُزْني وانْكِساري
فوق نَزْفي واحتِضاري
سَرَقوها

([47]) قصيدة (النسيان)، ص28 من ديوان (أنا والليل)، مصدر سبق.

([48]) عنوان القصيدة (ثورة على الظلم)، ص24 من ديوان (اللحن الثائر)، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1956م.

([49]) قصيدة (ثورة على الظلم)، ص25 من ديوان (اللحن الثائر)، مصدر سبق.

([50]) قصيدة (شعب مصر)، ص9 من ديوان (اللحن الثائر)، مصدر سبق.

بالمواثيقِ الشريرة
يا بِلادي.[51]

"فهي من مواليد عام 1969م عاشت الستة عشر عامًا الأولى من عمرها في عهد نظام عسكري، وهو نظام مايو الذي بدأ اشتراكيًا وماركسيًا، وانتهى إسلاميًا، ثم رأت الديمقراطية وعمرها يتفتق في فترة الانتقال من نظام عسكريٍّ مدنيٍّ" [52].

فتقول عن الوطن:

يسرقون الكُحْلَ من عِين القصيدة
تنكئين الآن جُرحًا
كُنتِ أحكمتِ وصيدهْ
قلتِ ماذا؟؟
ليس كُحْلًا
إنَما هُم
يَسْرقون الشَّوف[53] من عين القصيدة.[54]

فقد صدقت للثورة وصدقت في كل شيء، فغنت للوطن وهي مؤمنة متحمسة لوطنها غيورة عليه، إذ ترى الواجب الوطني فوق كل اعتبار وأسمى من كل عاطفة أو نزوة شخصية خاصة معبرة عن الكلمة الحقة التي لا تزيّف إرادة مواطنيها، وتكرر في القصيدة نفسها:

يَسْرقون الكُحْلَ من عينِ القصيدة
إنَّهُم هُم سارِقوا الثورة والتاريخ والأحلام
والمستقبل الآتي ودَمْعات اليتامى
سَرَقوا تونس مِنْ ثَورتها
سرقوا دارْفور من ثورتها
سرقوا لبنان من رِوْعته
سرقوا الجولان من عِزّته
سرقوا الصومال من إخْوته
والعراق الحُرّ من هَيْبتهِ
سرقوا السودان من وَحْدته
وفلسطين المجيدة
وتقولين: لماذا يَسْرقون الكُحْل من عَيْنِ القصيدة؟
إنَّما الأرضُ ستبقى وتثور.[55]

أما الشاعرة الليبية **عائشة المغربي** فتسلك طريقًا آخر للثورة على الواقع ورفض للسائد معبرة عن إرادة كبرى في التغيير فتقول:

نِساء مُدَجَناة[56] بكلام المُساواة

([51]) قصيدة (يسرقون الكحل من عين القصيدة)، ص28، من ديوان (للحلم جناح واحد)، إيثار للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ط2، 2009م.

([52]) وجدان الصائغ، نقوش أنثوية (قراءات في النص النسوي)، اتحاد الأدباء والكتاب، صنعاء، 2003م، ص27.

([53]) الشوف، الجذر: شفف، الوزن: فعول، شفّ يشفّ شفوفًا وشفيفًا، والمراد: الكل، لسان العرب، لابن منظور، المجلد الثامن، ص162.

([54]) قصيدة (يسرقون الكحل من عين القصيدة)، ص28، من ديوان (للحلم جناح واحد)، مصدر سبق.

([55]) قصيدة (يسرقون الكحل من عين القصيدة)، ص29، من ديوان الحلم جناح واحد، مصدر سبق.

([56]) مدجناة: دجن، الدجن ظل الغيم في اليوم المطير وهو المطر الكثير، وليلة مدجان: مظلمة، والمداجنة حسن المخالطة. لسان العرب، لابن منظور، المجلد الخامس، ص220.

فالجبال تطوَع شَهْوة الاتجاه
نساء لدينا أسْباب كي نَمْتَحن كل صَباح
أشعة الشَّمس في شَمْسِها
شَدّها لإشراقة الوَريد
المُتورّد في وجنَتي سماء مُعَطّرة
بنسائم تَجْدف
خَفقاتها ضد احْتِمال الانْحِناء.[57]

بدأت الشاعرة هذا النص بضمير الجماعة في محاولة لحشد جميع النساء وكذلك إقحام المتلقي، ليكون جزءًا من هذا الطموح المعبّر عن إرادة جامحة في التغيير، وللتعبير على أن الكل ملزم بطريقة أو بأخرى للتصدي والثورة على الواقع ورفض السائد. فيكون الالتحام الحقيقي بين النساء جميعًا، ذلك الالتحام الذي ينتهي بتبني الموقف العام المطروح في النص.

ويختلف تعبير **ابتسام المتوكل** الشاعرة اليمنية عن رفضها للواقع فتقول:

وتحط على أَرْقَى العدنيّات
وَيقُمْن حرائق نَشْوتهم
فلا أَنْجُو
ترتجُّ براكيني الغَيْري
أرتجُّ
فَأَروم ذَهولًا يَغْسلني من جَمَرات العَدَنية.. لكن
لكن العدنيّات الـ.. سيقدن بَخُورًا
نَحْوَ ذُهُولي
يَتحدّى الطُّقْسَ الصَّنْعَاني
ويَنْفِيْني.[58]

يحمل هذا النص رؤية أخرى للشاعرة ابتسام المتوكل تختلف عن الشواعر، فكان التعبير عن الثورة على الظلم والرفض للواقع المحاط باستدعاء لفظ العدنيات فهي تتكلم عنهن، عن قوتهن وثقتهن وذهول الشاعرة منهن وتقول:

سُتَباغتهَن دُموع عالقة في صخر جُنوني
وسَتُوجعُهن شراشف أحْزاني
ولقد تدمى أصْوات سواحلهنّ
فَيغُصْنَ شمالًا بالزمن العَدني
وفُؤادي مُنْفَردًا بجُنونِ النَّبْض
سَيسير جَنوبًا حتى لَو
ليُغادر رُعب سُكُوتي
ويُصالح كُلّ جهات الرَّفْض.[59]

فهن رغم ما يفرض عليهن من عادات كلبس النقاب إلا أن أصواتهن رافضة.

من هنا عبرت الشواعر عن التفاعل مع الواقع، فهن يتألمن من واقع الشعب المتردي، ويثرن على سياسة المستعمر الرامية إلى تخريب البلاد حينًا آخر.

([57]) قصيدة (النساء)، ص22، من ديوان البوح بسر أنثاي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ط1، 1996م.

([58]) قصيدة (العدنيات)، ص16، من ديوان (شذى الجمر)، ابتسام المتوكل، الهيئة العامة للكتاب، شارع بغداد، اليمن، ط1، 1998م.

([59]) قصيدة العدنيات، ص22، من ديوان شذى الجمر، مصدر سبق.

كما عبرن بهذا المبحث بأن الشعر الثوري ليس مجرد مشاعر حالمة متعالية للواقع، بل هو شديد الالتصاق بقضاياه، حريص على تقديم الحلول لها.

فواجهن الواقع بتحدي المألوف الخانع والخروج عليه، إيمانًا منهن بضرورة التغيير والتجاوز من أجل الأمثل، فكان الشعر عندهن انبثاقًا وجدانيًا وتحريضًا إنسانيًا أملًا بالوصول إلى مجتمع عربي أفضل وحياة أسمى.

فتجسد طموحهن القومي من الجيلين كحركة مستمرة في أفق عربي إنساني يطمح إلى خلق مستقبل توليدي فاعل تهيئن له بحضور مميز وفاعلية الحركة والصيرورة.

ثانيًا: حب الوطن والحزن على مصيره:

إن حب الوطن من الأمور الفطرية التي تولد مع الإنسان، "فليس غريبًا أبدًا أن يحب الإنسان وطنه، الذي نشأ على أرضه، وشب على ثراه، وترعرع بين جنباته، وأن يضحي بكل غال ورخيص في سبيل الحفاظ عليه والذود عن حماه"[60].

فالتعلق بالوطن يعد رابطًا عاطفيًا بين الوطن والشاعر، وقد وجد الشاعر فضاء رحبًا في القصائد ليعبر عن حبه لوطنه وتعلقه به، "فالوطن هو تلك الروح الهائمة البعيدة التي تسكننا في كل المنافي، تعانقنا في كل الدروب، تسكن فينا ولا ترحل عنا"[61]. فحب الوطن تمكن في قلوبنا وتمكن في قلوب شواعرنا قديمًا وحديثًا، فعبرن عن حبهن له بتصويره.

ومن الشواعر الأوائل اللاتي اختصصن الوطن بحبهن، وحزنّ على ضياعه هي الشاعرة الفلسطينية **فدوى طوقان**.

فقد أحبت شبابه وأطفاله، وكل ما فيه، فأخذت موقعها في طريق النضال، فأصبحت صوت الشعب ونبضه.

فهي لا تفرط بحبها أبدًا فهي ابنة هذا الوطن، هذا الحب دائم إلى الأبد، ولن تفرط فيه، ولو كان الثمن كنوز الأرض والسماء، فتقول:

أنا يا شاعر لي في وَطني
وَطَني الغَالي حَبيب يَنْتظِر
إنهُ ابن بلادي لن أضيع.. قلبه
إنهُ ابن بلادي لن أبِيعَ.. حُبّه بكنُوز الأرض
بالأنْجُمِ زَهْرًا.. بالقمر.[62]

تثبت طوقان بهذه الأبيات بأنه إن كان حب الأجنبي يرضي أنوثتها فإن حب ابن الوطن هو الأفضل والأبقى، وهي لا تنوي بيع حبه أو تضييع قلبه، فقولها (لي في وطني) (بلادي) تبرز الذات المتكلمة، مما يدل على شدة تمسكها وفرط حبها للوطن وابن الوطن.

وفي قصيدة أخرى تروي لنا طوقان حكاية الأم الفلسطينية وولدها المناضل حينما يودعان بعضهما، فالحوار الجاري بينهما هو أحسن أنموذج عن نظرتها إلى الوطن، قائلة:

يا وَلدي.. يا كَبدي
مِنْ أجل هذا اليومْ
من أجْلِهِ ولدُتك
من أجْلِهِ أرْضَعْتُك
من أجْلِهِ مَنحتك

([60]) سعد بن عبد الله السبر، حب الوطن، مطابع الحميضي، السعودية، ط1، 1436هـ، ص5.

([61]) المرجع نفسه، ص6.

([62]) قصيدة (لن أبيع حبه)، ص187، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، مصدر سبق.

دمي وكُلّ النّبض
وكُلّ ما يُمكن أنْ تمنحُه أُمومِةْ.[63]

وتخبرنا الشاعرة بأن الوطن أحب من الولد في عين أمه، وأحب من الأم في عين ولدها فكانت ناطقة باسم الأمهات اللاتي رغبن الأولاد في تحرير الوطن وهم فلذة أكبادهن.

"وحمل نتاجها الشعري في طياته خصائص الإنسان الفلسطيني وعزيمته ويأسه وحزنه وتمرده، وعندها تفجر بركان الوطن بداخلها وما عاد لأحد قدرة على لجم صوت الوطن عندها"[64].

"وما إن حلت نكبة 1948م، وأتيحت لها المشاركة الفعلية في الندوات والاجتماعات والمساهمة في تضميد الجراحات، حتى توجهت بكليتها نحو الوطن"[65].

فصرخت عبر قصائدها الوطنية حتى النخاع، وبدأ التحول في مسارها الشعري واضحًا، فاستبدلت الأنا الجماعية والهم المشترك بأناها الفردية، ولونت شعرها بمأساة وطنها، وهزيمته ويأسه، وتمرده وثورته فتفجر بركان الوطنية داخلها، فعبرت قصائدها عن فلسطينيتها، منها هذه القصيدة.

التي تقول فيها:

إذا الغيثُ هَمَي
ما الذي يجعلُ لي مِنْهُ سَكَن
ومَلاذًا من ضَياعي
في المتاهاتِ وأمْنًا وَوَطن.[66]

فالوطن لا يوجد غيره آمنًا للإنسان في هذه الحياة.

وتظل فدوى تسقي أرض فلسطين حبًا وتعلقًا، فلقد شكل الاحتلال صدمة شعورية لها، وقد كتبت قصائد عديدة تعبر عن واقع عاشته بنفسها، "فلو لم تمر هي ذاتها بتجربة الحرمان من السفر إلى الضفة الشرقية أو زيارة يافا بعد الاحتلال، أو الوقوف لساعات انتظارًا لتصريح زيارة، أو معايشة هدم منزل ابن عمها حمزة"[67]، لما كتبت هذه القصائد مع أن مئات القصص المشابهة كانت تحدث يوميًا في طول الوطن وعرضه، دون أن يرد لها ذكر في قصائد الشاعرة.

ومن الملاحظ أن نكبة فلسطين فتحت أفق الشاعرة لملامسة الهم الوطني، فتقول:

ذَكَرْتَني
أني من الأرض التي تَمّزقَتْ
أني من القوم الذين مِنَ الجُذُور اقْتُلِعوا
من الجُذورْ
وأصْبحُوا على مَدَارج الرَّياح
مُبَعثرين ها هُنا.. وهاهُنا.. لا ينْتمون إلى وطن! [68]

وبعد أن احتلت إسرائيل بقية فلسطين عام 1967م، نجد بداية تغير في تناول الشاعرة للقضية الفلسطينية، فكان الأمر واضحًا في لغتها فنجدها تتحدث عن الاحتلال، وأن ما حدث من احتلال لمدينتها الصامتة كان نهاية المطاف، قائلة:

([63]) قصيدة (الفدائي والأرض)، ص120، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان.

([64]) لؤي شهاب محمود، دراسة تحليلية في شعر الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، 2014م، ص60.

([65]) فدوى طوقان، (رحلة جبلية، رحلة صعبة) سيرة ذاتية، الجزء الأول، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1985م، ص78.

([66]) قصيدة (السؤال الكبير)، ص20 (ديوان اللحن الأخير، فدوى طوقان)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000م.

([67]) فدوى طوقان، (الرحلة الأصعب)، سيرة ذاتية، الجزء الثاني، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1993م، ص72.

([68]) قصيدة (أردنية فلسطينية في إنجلترا)، ص54 من ديوان (أمام الباب المغلق)، فدوى طوقان، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1967م.

أوّاه يا مدينتي الصَّامتة الحَزينة
أهكذا في موسم القطاف
تحترق الظلال والثمار
أوّاه يا نِهاية المَطافِ!
أوّاه يا نهاية المَطاف! [69]

فتعبر عن الحزن على مصير وطنها أمام إهانة وإذلال العدو لها "وغطرسته المستمرة في إغلاق الجسور ومنع الناس من السفر"[70] لحجج واهية ليعودوا ولسان حالهم كما لسان حال الشاعرة:

فَتَراجعت بِخطو يتعثرْ
أي وَربي لم أعُد أفهَم شيئًا غير كوني
في زمان اليُتم والحُكم اليَهودي المقدر.[71]

فلقد أخلصت لوطنها وشعبها وقضيتها ولشعرها، شعر وطني حمل معاناة حادة تجاه فلسطين ونكبة 1948م، فترفع صوتها من أجل الآلام التي انهالت على الوطن المظلوم قائلة:

آهْ يا حُبي الغَريبِ
آهْ يا حُبي لماذا؟
وطني أصبح بابا لسقر؟
ولماذا شجر التفاح صارَ اليومَ
زَقُومًا، لماذا؟[72]

"شاكية من القضاء والقدر وتغير الأمور التي أضرت وطنها"[73]، وتتساءل عمن يحاول حل هذه المشكلات، لتثبت أنها شاعرة الوطنية وصاحبة الكلمة التي لا ينضب معينها.

ومن شواعر الجيل الأول الشاعرة الكويتية **سعاد الصباح**، تلك الشاعرة العربية التي لم يقل عطاؤها نحو الكويت بصدق الصورة، والتعبير والهدف إلى الحرية والعدل وتعد أحاسيسها نحو الكويت أحاسيس كل عربي صادق يتمنى الحرية والسعادة لوطنه، فنجد في قصائدها أنها تشعر بأنها تذوب عشقًا لأرضه الصامدة العريقة.

كُويتُ، كُويتُ
موانئُ أبحَر مِنْها الزَّمان
وواحةُ حُب، وبَرُّ أمان
وشَعبٌ عظيمٌ.[74]

هذا الوطن المفدى يسري حبه في عروقها وعروق أبنائها، إنه شواطئ آمنة وجذور وعادات وأمن واستقرار.

كُويتُ، كُويتُ
شَواطِئُ مَصْقولَة كالمَرايا
وبحرٌ يُوزّعُ كُلّ صَباحٍ عَلَينا

([69]) قصيدة (مدينتي الحزينة)، ص402 من ديوان (الليل والفرسان)، مصدر سبق.

([70]) فدوى طوقان، الرحلة الأصعب، سيرة ذاتية، الجزء الثاني، مرجع سبق، ص73.

([71]) قصيدة (حكاية أخرى أمام شباك التصاريح)، ص11 من ديوان (تموز والشيء الآخر)، فدوى طوقان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1987م.

([72]) قصيدة (إلى الوجه الذي ضاع في التيه)، ص16، الأعمال الشعرية الكاملة، فدوى طوقان، مصدر سبق.

([73]) يحيى الشامي، فدوى طوقان ورحلة العذاب، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2003م، ص13.

([74]) قصيدة (وردة البحر)، ص145 من ديوان (فتافيت امرأة)، مصدر سبق.

أُلوفَ الهدايا.[75]

وتشيد الشاعرة بحرية الكلمة والتعبير وعمق العروبة في الكويت، حتى غدا وطنها الصغير ملاذًا للمثقفين وملجأ للأحرار.

ويُسْعِدُني أن تَظَلّ بلادي
مَلاذَ العصافيرِ من كُلّ جِنْسٍ
وبيتَ المُغنّين والشُّعَراء
ويُسْعُدِني أن يكون تُرابُ بلادي
مزارِ البنفسجِ والشُّهداء
وسَقْفًا، لمن تَرَكتهمْ حُروب العُروبة دون غِطاءُ
ويُسْعِدُني أن تَظلّ بلادي جزيرة حُرية رائِعة[76]

يعتمد المحور الوطني على قضية النفط، والشاعرة ترى أنها مشكلة كل دولة، يوجد البترول في أرضها فيأتي لها الغرباء من الأجانب بغية امتصاص رحيق وطنها.

غُرباء الأرض أغْراهُم بريقُ الذّهبِ
فاسْتباحوا دون حَقٍ أرْضَ أمي وأبي.[77]

وهذا تصريح واضح بحبها للكويت حبًا لكل ما فيه، وتعلقًا بأرضه وشعبه، وذلك من خلال قولها:

كويت، كويت
أُحبكِ.. كالشَّمس.. تُعْطين ضَوْءَكِ للعالمينْ
أُحُبك.. كالأرضِ.. تُعْطين قَمْحكِ للجائِعينْ[78]

"أكدت الشاعرة أن ارتباطها بالكويت لم يكن عاطفيًا فقط، بل كان مقرونًا باعتزاز مبني على تاريخ وحقائق وأحداث"[79]، فشعبه من صنع التاريخ بالعزة والكرامة، وهذه العزة تنتقل بشكل طبيعي إلى الأجيال القادمة لتؤكد ارتباطهم بأرضه ثم الانتماء إلى الخليج كله بثقة وإيمان، لأن الشجرة لابد أن تكون ذات جذر قوي حتى تستطيع أن تتفاعل مع مناخ البيئة المفتوح.

وفي كتابها (هل تسمحون لي أن أحب وطني؟) تقول:

"إنني سأبقى كويتية من رأسي إلى قدمي، ولن أسمح لأحد أن يقتلعني من بيتي وهويتي وجذوري، فهل تسمحون لي أن أحب وطني؟"[80]، بحيث شكل غزو الكويت شعورًا مؤلمًا عند الشاعرة عندما تعرض الوطن لغزو من دولة قريبة كالعراق.

فهي منذ فجر الثاني من أغسطس 1990م مع مفاجأة غزو العراق للكويت حشدت كل إمكاناتها من الشعر والنثر، فأنتجت ديوانًا من الشعر[81]، وكتابًا نثريًا يحمل القصائد والمقالات الوطنية[82]، فتقول موجهة أسئلة عديدة لا تنتظر إجابات، فبعضها نعرف إجابته جميعنا وبعضها تعجبي، وبعضها استنكاري.

من قَتَل الكُويتْ؟
ينفجُر السُّؤال في عقْلي، وفي قلْبي

([75]) القصيدة نفسها، ص146.

([76]) قصيدة (وردة البحر)، ص155 من ديوان (فتافيت امرأة)، مصدر سبق.

([77]) قصيدة (ارفعي المشعل)، ص65 من ديوان (إليك يا ولدي)، مصدر سبق.

([78]) قصيدة (وردة البحر)، ص149 من ديوان (فتافيت امرأة)، مصدر سبق.

([79]) مها خير بك ناصر، هدم وبناء، مرجع سبق، ص163.

([80]) سعاد الصباح، هل تسمحون لي أن أحب وطني، مرجع سبق، ص22.

([81]) تحت عنوان (برقيات عاجلة إلى وطني) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1990م.

([82]) تحت عنوان (هل تسمحون لي أن أحب وطني)، كتاب صدر أول مرة في القاهرة عام 1990م.

كنهر من لَهَبْ
هل أعْجَمي يا ترى قاتِلُها؟
أمْ عربي جاء من أرضِ العَرَبْ؟[83]

والسؤال الأخير لا يمثل الشك في عروبة القاتل، وإنما يستكثر وقوع هذا الحدث من عربي فإنه ليس جديرًا بهذه الهدية مهما أكدت كل الحقائق عروبته، وفيما يبدو أن الشاعرة ترى الوضع العربي مترديًا، وذلك بسبب الغرور والاستبداد وخداع الشعوب، "مما يتيح الفرص لمثل كارثة غزو الكويت وما جره ذلك من وبال على الأمة، ما زالت تعاني منه كثيرًا حتى الآن"[84].

ولكن بتحرير الكويت عادت سعاد الصباح إلى الفرح بقصيدة تحمل عنوان (نقوش على عباءة الكويت) لتزيل حزن السبعة أشهر المضنية في احتلال الكويت.

أيًا كان الأمر فهذا هو واقع القصيدة، التي تردد فيها أكثر من مرة (سبعة شهور).

والعنوان بداية الفرحة، فالنقوش زخرفة جمالية دقيقة والعباءة مرتبطة بالمناسبات السارة والأعياد والأفراح ليحمل العنوان سمة الدخول إلى كل مقطع بنقوشه التعبيرية المنمقة.

أيًا صَباح النَّصْر يا حبيبتي الكُويت
أيّتُها العَصْفُورة المائيّة، الرائعة الألْوانْ
بعد شُهور سَبْعَة في قَبْضَة السَجَّان
طلعتِ مثل وردةٍ بيضاءَ من دفاترِ النِّسْيانْ.[85]

فكان النداء المحبب للشاعرة في الأفراح والأتراح، كذلك عرفنا من خلال الأبيات السابقة إلى أي حد مدى النقوش وزخرفتها على عباءة الكويت.

ومن تمام الفرحة باللقاء بعد الوحشة والضياع تقول في القصيدة نفسها:

يا أُمّنا الكُويت
بالأحْضان.. بالأحْضان.. بالأحْضان.[86]

وأخيرًا فقد قالت الشاعرة كلمتها بإفاضة عن هذا الوطن العظيم الكويت وفرحتها برجعته البهية.

ويعد الحنين إلى الوطن والشوق إليه مما تعتز به الشاعرة، لذلك قضت حياتها لهذا الوطن وقد أمدتها العاطفة الوطنية فحملت الكويت في قلبها وتغنت بالعروبة وصرخت بقضايا الوطن وغلبت عليها النزعة الوطنية.

أما الشاعرة العراقية **نازك الملائكة** فقد كانت تعيش حب الوطن بطريقة خاصة بها نظرًا للظروف التي مرت بها، "فالحرب العالمية الثانية قد أثرت بلا شك في العراق مما جعل من الحالة السياسية في البلد قلقة جدًا"[87]، فعانى الوطنيون ودعاة الحرية من الاستعمار صنوف العذاب والاضطهاد.

"كما أن العراق كجزء من الأمة العربية عانى من عمليات التزييف من الحكام العرب الرجعيين وعملاء الاستعمار، بسبب الوعود التي منحتها الدول الاستعمارية للعرب بمنحهم الاستقلال والحرية"[88].

هذه العوامل وغيرها جعلت من نازك الملائكة تعيش تأزمًا حادًا وقلقًا على مستقبل العراق، فالمعاناة التي خلفها الاستعمار لدى الشعب العربي في العراق كبيرة، فأكدت على أهمية الشعور الفني في تأكيد الترابط الوطني العربي.

([83]) قصيدة (من قتل الكويت)، ص73 من ديوان (برقيات عاجلة إلى وطني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1990م.

([84]) سعاد الصباح، هل تسمحون لي أن أحب وطني، مرجع سبق، ص110.

([85]) قصيدة (نقوش على عباءة الكويت)، ص91-98 من ديوان (برقيات عاجلة إلى وطني)، مصدر سبق.

([86]) قصيدة (نقوش على عباءة الكويت)، ص95 من ديوان (برقيات عاجلة إلى وطني)، مصدر سبق.

([87]) ماجد أحمد السامرائي، الموجة القلقة (نازك الملائكة)، مرجع سبق، ص71.

([88]) المرجع نفسه، ص57.

"فبعد أن قامت الجمهورية العراقية عام 1958م"[89] غنت الشاعرة للوطن بكل إحساسها للشعب العراقي، بل للوطن الكبير فكانت الدفقات القومية في شعرها هي الصوت الذي ارتفع فوق الأصوات، وكانت تتقاسم الأحاسيس والمشاعر مع المناضلين المثقفين وتغني للشهيد حين يسقط دفاعًا عن الحرية، وتمزج صور عذاب الشهيد بعذابها من خلال مقاطع شعرها، وقد تبلور الحس الوطني عند نازك إلى مناداتها بالوحدة العربية وبضرورة تحقيقها، وقد غنت للوحدة كثيرًا، فهي تقول:

إيه بغدادُ أيقظي كُل مَنْ ما تَ شـــهيدًا علـــى نشـــيد النَّصْـــر

أنبئيـــهِ بـــأنَّ وحدتُـــه قـــا مَتْ وضمت من أرْضِه كُل شِبْرِ[90]

فبغداد هي عشق الشاعرة الأبدي، وكل من مات شهيدًا على أرضها على نشيد النصر المحتم سيعلم أن وحدته قامت وهدفه تحقق بضم كل شبر من أرضه، وتقول أيضًا:

ذَهَبتْ ولم يَشْحَبْ لها خَدّ ولم تَرجُفْ شفاهُ
لم تَسْمَع الأبوابُ قصة موتها تُرْوى وتُرْوى
لم تَرتِفع أستار نافذة تسيلُ أسى وشَجْوًا
لتتابعَ التابوت بالتّحْديقِ حتى لا تَراهُ
إلا بقية هيكل في الدَّرْبِ تُرْعِشُهُ الذِكر0[91]

وفي هذا النص بعض صور زقاق بغداد للشاعرة حيث يظهر حالة أزقة بغداد، وهي تغرق في الفقر والحرمان، وتعتبر الشاعرة نفسها جزءًا من هذه المدينة معبرة عن حبها الكبير لها قائلة:

جمهُوريّتنا، فرْحتنا، يا حُرْقَة أشْواقٍ وحنينْ
نحن عطِشْنا لك أعْوامًا
جُعْنا وسَهِرنا، غَذّيناها أحْلامًا
والآنَ مَلكناها دفقة ضَوءٍ ويقينْ.[92]

وهذه بداية تظهر فيها الفرحة والشوق ثم العطش والجوع وحصاد هذا التعب لتحقيق الأحلام.

لقد امتاز شعر الملائكة الوطني أو الشعر السياسي بشكل عام بصوته العالي على غير عادته، ولعل سبب ذلك هو طبيعة الغرض الذي يتناوله هذا اللون من الشعر من صراخ وصوت عال.

ومن الجيل الأول أيضًا الشاعرة **جليلة رضا**، فقد كان حبها لمصر واضحًا صريحًا فلها أروع القصائد عن وطنها، تقول:

قـــدْ كـــان حُبـــك كُلّمـــا نَغّمتُـــهُ لحْـــن الصَّـــباح المُشْـــرق المُبْتَســـم

قـــد كـــان إحساسًـــا نـــديًا ناعمًـــا ونشـــيد أطفـــال ودَرْس مُعَلـــم[93]

فحب الشاعرة لمصر غريزة فطرية تستقر في كيانها وفي كيان كل مصري على هذه الأرض الطيبة، وتقول في القصيدة نفسها:

أرقتنـــي يـــا مصـــر بالحُـــبّ الـــذي حَمَلتينـــه بِجـــانبيّ وفـــي دمـــي

([89]) عبد الرضا علي، نازك الملائكة (الناقدة)، دار الحكمة، لندن، ط2، 2013م، ص15.

([90]) قصيدة (الوحدة العربية)، ص523 من ديوان (شجرة القمر)، مصدر سبق.

([91]) قصيدة (مرثية امرأة لا قيمة لها)، ص273 من ديوان (قرارة الموجة)، نازك الملائكة، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، ط2، 1979م.

([92]) قصيدة (تحية للجمهورية العراقية)، ص445 من ديوان (شجرة القمر)، مصدر سبق.

([93]) قصيدة (يا مصر)، ص5 من ديوان (لمن أغني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ط2، 2009م.

لكننـــي لـــم أَنْـــسَ حُبّـــك لحظـــة أنـــت الهَـــوى واللحـــن للمُتَـــرنّم

أنشـــدتُ فيـــك ســـحر كُـــل قصـــائدي فَهَـــواك لـــي سِـــرّ النـــداء المُلْهِـــمِ

ســـأعيشُ واهبـــة إليـــك مشـــاعري وأموت واسمك كالصَّلاة على فَمِي[94]

مصر ما أجملها من كلمة عظيمة حبيبة إلى القلوب، تنطق بها الشفاه من جيل إلى جيل، فما أطهرها من معنى يثير في النفوس أسمى المشاعر، وأعذب الذكريات، فهي تفخر بمصر، ولها قصيدة غاية في الروعة عن القاهرة عاصمة مصر، تقول:

أرقُبُ الأرض والفضاء وليلًا من ربيع المدينة القاهِرية
أيُّ سِحْر وأي دَوْرق عطر سكبتهُ يَدُ الملاكِ القاهريةْ
إيه يا أنتِ يا مدينةُ شعبي ومِهَاد الحضارة الأزليّةْ
كُلُ شيء عليك يَبْعثُ سِحْرًا وغُمُوضًا ونَشْوة وحَميّةْ[95]

ترسم الشاعرة بهذه الأبيات لوحة غاية في الجمال تعلوها مدينة القاهرة، وما يحيط بها من جمال بمصطلحات تليق بهذا الجمال كقولها (ربيع المدينة القاهرية، يد الملاك القاهرية، مهاد الحضارة الأزلية) فوصفتها بهذه الأوصاف.

من هنا شكل الرابط العاطفي بين الشاعرة جليلة رضا ووطنها السمة الأولى المميزة لشعرها الوطني، فكانت هذه القصائد فضاء فسيحًا عبرت من خلالها عن عميق حبها لوطنها ومدى تعلقها به، إلى درجة أن القارئ قد يعتقد أول الأمر أن القصائد غزلية لغلبة المعجم العاطفي من ناحية وهيمنة أسلوب التغزل بقوة على النص، وقد لعب هذا التوجه دورًا كبيرًا في منح القصائد شحنتها العاطفية ووسمها بصدق وحرارة عميقين.

ومن الجيل الثاني تبرز الشواعر في حبهن للوطن والحزن على مصيره كل حسب القطر الذي تنتمي إليه.

فالوطن هو البيئة الصغيرة التي ينشأ فيها الفرد ويعيش حلوه ومره، ينغرس حبه في قلبه، ولكل شاعرة طريقة في التعبير عن هذا الحب العميق الذي لا يوصف.

فنرى الشاعرة السودانية **روضة الحاج** تخاطب الوطن في مدينة كسلا قائلة بحنين واشتياق كبيرين:

يا صادحًا بضفاف النيل غنيني واذكر ديار أليف جِد مَفْتون
والوَرْد يضحك والأنسام في دعة فأين (قُرْطبة) في شهر تِشْرين
فجئْتُ يا كَسْلا الخُرطوم يدفُعني عزم أكيد له الآمال تَحْدوني
للفجر يَطْلَع من تُوتيل مُبْتسمًا وللأصيل إذا حَيَّاك يُحييني
ولهْفَ نفسي إلى رؤياك يظمئُني من يأتِني قطراتْ منك تَرْويني
فجِئْتُ يا كسلا الخُرطوم يدفُعني عزم أكيد له الآمال تَحْدوني[96]

عن الأرض التي شهدت نشأتها وبواكير حياتها وفاء لعطائها، فكسلا هي أرض خصبة للإبداع وتطوير وتنمية القدرات، فهي توضح للعالم أن السودان هو أسمى وأعلى مما يتصوره كثيرون، وتقول في القصيدة نفسها:

([94]) قصيدة (يا مصر)، ص5 من ديوان (لمن أغني)، مصدر سبق.

([95]) قصيدة (القاهرة في وشاح الليل)، ص13 من ديوان (لمن أغني)، مصدر سبق.

([96]) قصيدة (أوّاه يا كسلا)، ص12، من ديوان في الساحل يعترف القلب، إيثار للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ط3، 2011م.

لكنني لم أجدها مثل ما عهدتُ أُمًّا رؤومًا لفقدي قد تُواسيني
فهزّني ألمي واشتّد بي سقمي واشتقتُ يا حُلُمي للأرضِ والطينِ[97]

تعبر عن حنينها وحبها للوطن لتنافس باسم الوطن، وعادت للوطن وهي الأولى على كل قيثارات الوطن العربي[98]، فهي التي منحت السودان وطنها ابتسامة في زمن عز فيه الابتسام.

وظل الشارع السوداني قريبًا من قصيدتها هذه، وقريبًا لكثير من القصائد فهي أحبت أهلها ومدينتها وبلدها وأباها وزوجها والأخلاق السامية والنضال والمرأة العربية.

وفي قصيدة أخرى تذكر روضة مفاتن هذا الوطن الحبيب:

من ظِلِّ عينيك الحبيبة
كُنت أقترضُ المساءات الندية.[99]

فحب الشاعرة لوطنها غريزة متأصلة في النفوس، ومحبة الوطن طبيعة طبع الله النفوس عليها، فحين يولد الإنسان في أرض وينشأ فيها، فيشرب ماءها، ويتنفس هواءها، ويحيا بين أهلها، فإن فطرته تربطه بها، فيحبها ويواليها.

وتعبر في هذه القصيدة عن عمق حبها لبلادها مع نغمات من الألم مع ما يحصل فيه:

يا بلادي
آه يا كُلي وبعْضي يا معي هل أنتِ ضِدّي
نوحَ معي أيها الشاعر وأبْكي
فأنا أطْلُب التأشيرة اليوم بأرضي
قُلتي ماذا؟
يسرقون الكحل اليوم من عين القصيدة.[100]

فكما كان حبها عميقًا جدًا كان هذا العمق يتجه أيضًا لحزنها، وليس على خرطوم السودان فقط، وإنما على عواصم عربية أخرى تحمل في قلب الشاعرة الحب الكبير لهذا الوطن العربي، فتقول:

قُولي خُناس
إن حُزني على الخرطوم
أم حُزني على الجولان
أم حُزني على بغداد
أم حُزني على القدس المُضرَّج بالنَّجيع
وقِبلة البيتِ الحرامْ.[101]

متأسفة على النساء والأطفال، وهي تستحضر خناس دلالة على حزنها الكبير لما يحصل لهذا الوطن فهو حزن يعادل حزن الخنساء على أخيها صخر الذي بكته حتى ابيضت عيناها.

ويشغل الوطن بال الشاعرة عائشة المغربي، فالوطن كلمة تضم معاني كثيرة حيث تتغير بتغير نسبة الولاء له، فهو يضم الكرامة والعزة، لذلك عبرت الشاعرة تعبيرًا قويًا على لسان إنسان مغترب لأن فراق الوطن يؤرق صاحبه، فتقول:

أيُّها الذي أشتهيهِ وطنًا

([97]) القصيدة نفسها، ص13.

([98]) مثلت الشاعرة السودان في مسابقات شعرية عربية فازت بالمركز الأول في الكثير منها، مثل منافسة أندية الفتيات بالشارقة عام 2012م، ومهرجان الإبداع النسوي.

([99]) قصيدة (المقعد العشرون)، ص4 من ديوان (مدن المنافي)، الناشر: تفاصيل الكلم، السودان، ط2، 2017م.

([100]) قصيدة (يسرقون الكحل من عين القصيدة)، ص28، من ديوان للحلم جناح واحد، مصدر سبق.

([101]) قصيدة (رسالة إلى الخنساء)، ص30، من ديوان في الساحل يعترف القلب، مصدر سبق.

وحتى اللغة التي نتهجّى
اللغة المَليئة بالأكاذيبْ
بالإشاراتِ والمُحرمات
لا تَرْسُم مولدك
ولا مساحة القصيدة كافية.[102]

وهي تعلم جيدًا ما يدور في بلادها من محن ونكبات، وذلك الذي زاد من تعميق جرحها وهي تشتهي وطنها وتشتاق إليه.

وفي قصيدة أخرى تقول:
تَمُد يديك
وفي جِدارك الأيسر تَزْرعُني
سأنمو
غابة من الحنين في وطني
ومعًا..
نتدفق في شِرْيان الوطن حنينًا
ومع الصّباح
نُزهر محبة.[103]

نلحظ في هذا النص أن الشاعرة استخدمت كلمات تدل على اللون (الأخضر) بشكل غير مباشر مثل (سأنمو، غابة، تزهر) ترسم بها لوحة تجسد اللقاء والتفاهم والمحبة بين طرفين يجسدان معًا معنى الوطن والحنين الكبير إليه.

وفي قصيدة أخرى تقول:
ليبية الهوى
صَفّقوا لأغنيتي
عاليًا
لن تبكي طرابلس موتها
لن لن تترمل

ولن تكون مَغلوبة على أمْرِها.[104]

تفتتح الشاعرة القصيدة بـ(ليبية) نظرًا لما تشكله بلدها (ليبيا) من قيمة كبيرة في حياتها، ثم تنتقل إلى العاصمة (طرابلس) وتقول لن تبكي، لن تترمل ولن تكون مغلوبة على أمرها، فستنهض من جديد وتقف على قدميها ويسعد ويهنأ أهلها في كل مدينة من مدنها.

من هنا استطاعت الروح القومية أن تحتل مساحتها الطبيعية في عقلها ومخيلتها ووجدانها.

فهي تقول عن تجربتها الشعرية وقصائدها التي تحمل هم الوطن "إني شغوفة بتجدد تجاربي، ونصوصي لا تشبه بعضها، ولا تريد أن تتكرر، ولا تسمح للون واحد بأن يطبعها، أشكل نمطًا كي أخترقه في نص آخر لكنني لا أتعمد لعبة الشكل"[105].

([102]) قصيدة (جسد القصيد)، ص16، ديوان صمت البنفسج، عائشة المغربي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 2006م.

([103]) قصيدة (شريان الوطن)، ص77 من ديوان (البوح بسر أنثاي)، مصدر سبق.

([104]) قصيدة (ليبية الهوى)، ص12، من ديوان الأشياء الطيبة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 1986م.

([105]) خلود الفلاح، مقال عن عائشة المغربي (على المبدع أن يناضل ضد بشاعة العالم)، صحيفة العرب، لندن، العدد 9592، نشر في 2014/6/17م.

وتضيف: "أحلم أن يكون وطني ليبيا حرًا، تسوده المحبة والسلام والجمال بحيث يهتز الكون من نعومة الصباح"[106].

ويستمر حب وعشق الوطن عند الشواعر من الجيلين، فنلمسه مباشرًا عند الشاعرة المغربية **وفاء العمراني**:

أعْشَق وطنًا
لا أملك به موطنًا
لِبلادٍ تَوجتني بالمطر الخريفي
والصدى.[107]

وحب الوطن للشاعرة يعد بعض حروف تكوّن كلمة صغيرة في حجمها، ولكنها كبيرة في المعنى، وحب الوطن ليس حكرًا على أحد، حيث إن كل فرد يعشق ويحب وطنه، لذا يجب الدفاع عنه وحمايته من كل شر، وتقول في ذات القصيدة أيضًا:

كيف يتحوّل الوطن إلى مسافة
والذهاب إليه الإقامة؟!
ما الوطنُ؟
ما يحملك يُقصيكَ
يحضُنُك يُلغيكَ
يكونك يلفُظُك
ما يُطعمك ببعضه
فتُطعمَهُ كُلك
ما تلهج به العُروق
ويختزنهُ العظم مِنْكَ[108]
هذه أغنيتي
غُربتي، سَكني
وقصيدتي وطني.[109]

هذه القصيدة تحمل حبًا وحنينًا عميقين من الشاعرة لوطنها ومسكنها، قصيدتها، أغنيتها الخالدة على مر الزمان، رسمت من خلالها الشاعرة لوحة معبرة فهي والوطن ثنائي مميز يعيش الفرح والحزن، هو كل شيء بالنسبة لها الطعام، الشراب لا تستطيع العيش بدونه.

ويأتي حب الوطن عند الشاعرة **ابتسام المتوكل** مباشرًا في قصيدتها التي تقول فيها:

حَضرموت التي في الخرافة
أم
حضرموت التي في دمي.[110]

نرى في هذا النص بداية حب عميق لحضرموت الحضارة التي في الخرافة، التي في دم الشاعرة وفي دم كل يمني، فتقول:

برقها يغزل الشوق للراحلين

([106]) المرجع نفسه، ص16.

([107]) قصيدة (غربة وطن)، ص24 من ديوان (تمطر غيابًا)، وفاء العمراني، منشورات بيت الشعر، المغرب، ط1، (د.ت).

([108]) قصيدة (غربة وطن)، ص24 من ديوان (تمطر غيابًا)، منشورات بيت الشعر، المغرب، ط1، (د.ت).

([109]) القصيدة نفسها، ص25.

([110]) قصيدة (حضرموت)، ص9 من ديوان (يشبه موتها)، الهيئة العامة للكتاب، شارع بغداد، اليمن، ط1، 2002م.

يغازل أسمارهم
لا يغيب.[111]

وتصف حضرموت بأنها البرق للراحلين وهي مدينة الحب والخير، لذلك كان شعور الحب لديها قويًا وحيًا نابضًا، وتنتقل في القصيدة نفسها إلى القول:

حضرموت تئن
عُروقي تَحِنّ.[112]

رسمت الشاعرة في المقطع الثاني من القصيدة ألمها على حضرموت التي تئن وتتألم، وعروق الشاعرة تحن وتشتاق لها، فمهما ابتعد الإنسان عن موطنه المعشوق فلا ينقص من حبه شيء، فمجرد ذكر هذا الاسم يستدعي إلى الذهن حضارات اليمن العريقة.

حضرموت هنا
وأنا من أنا؟
لأغني الغواية[113]

وهي تجسد بهذه الكلمات إيمانًا فطريًا، وتنقل إلينا كلمات قوية تحمل معنى حب حضرموت، وكل هذا نابع من صدق التجربة التي عاشتها والتي كشفت أبعاد حالتها النفسية؛ فللوطن حق في رقاب مواطنيه يجب سداده بالحب والإخلاص والولاء وتحقيق التفوق في جميع المجالات، فلذلك هو السبيل الأوحد لسداد ذلك الدين المستحق.

نخلص أخيرًا إلى أن شواعر الجيلين اتفقن مع نبضهن الشعري وحاولن التعبير عن تجاربهن الشعرية في قصائدهن التي تنم عن كثير من المحبة والود والاعتزاز بالانتماء.

الخاتمة:

وبعد، فإنني أقدم هذا البحث الذي توصلت فيه إلى عدد من النتائج، ويمكن استنباط أهم نتائج البحث وتوصياته في النقاط التالية:

1) عرضت شواعر الجيلين مأساة الواقع العربي كمشكلة قائمة ومستمرة في آن واحد معًا بل ومبتورة من الحلول أيضًا، فرسمن هذا الواقع صورًا معبرة والقين في سكونيته حصى التمرد والثورة لتستفيق الشعوب العربية من سباتها العميق وقد هربن من الواقع وثرن عليه في محاولة لتحقيق رغباتهن وأحلامهن فكان شعرهن نضالًا لتغيير زيف الواقع وتخطي المصاعب من أجل بناء مجتمع إنساني أسمى.

2) عبّر شعرهن الموضوعي بصدق عن مضامين العصر، وما حفل به العالم المحيط بهن من عوامل الخوف والقلق والزيف والنفاق، وانعدام الثقة في المجتمع، فالشعر عندهن متنفس خلاص يحررهن من الاختناق والصمت واليأس فتميزت قصائدهن بخاصيتي الاهتمام بالشيء والتحريض عليه.

3) انطلقت شواعر الجيلين من عذاباتهن الخاصة إلى عذاباتهن العامة تطرحها في نسيج شاعري واحد يلفه الحزن والألم، وينبغي الإشارة إلى أن شواعر الجيل الأول أقرب إلى التعبير عن الأحزان التي ترافق التجربة الأنثوية، لهذا تحصّن بالعزلة والانطواء على الذات في أوائل حياتهن.

4) احتوى معجم الشواعر الشعري لغة واضحة، وقد احتفظن في شعرهن عامة بالابتعاد عن العامية وتجنب الابتذال في استعمالاتهن اللغوية مع توخيهن السهولة والوضوح دائمًا والعناية باستعمال الصيغ العربية وخلو لغتهن من التعقيد والركاكة الناتجتين عن خلل في التركيب.

5) اخترقت الشواعر بشعرهن وأفكارهن حصون الماضي فاقتحمن موروثًا فكريًا ومفهومًا مقدسًا للشعر والذي تحوّل بتجربتهن الإنسانية الرائدة إلى فاعلية خلق وبناء،وقد أظهرت شواعر الجيل الثاني في

([111]) القصيدة نفسها، ص10.

([112]) قصيدة (حضرموت)، ص10 من ديوان (يشبه موتها)، مصدر سبق.

([113]) القصيدة نفسها، ص10.

الكثير من نصوصهن الشعرية عالمهن الخاص بهن، يتأملن ويتفاءلن ويتطلعن وهذه الأمور والمشاعر والأحاسيس حق من حقوقهن.

من هنا يمكن القول إن الجيل الثاني يحتاج إلى المزيد من الدراسات التي تكشف أكثر عن قضايا شعره واتجاهاته ومحاوره، وعما يضمه من القيم التعبيرية والفنية والظواهر المختلفة، كما يحتاج إلى دراسات تفصيلية تحليلية متعمقة لسبر أغوار كل شاعرة بل كل ديوان من دواوينهن وغير ذلك الكثير من ظواهر وفنيات البناء الشعري عند هذا الجيل الذي استطاع أن يخصب شعره ويقيم صروحه الفنية بكل الوسائل الحداثية الناضجة وشاعراته لا يزلن يضفن إلى تجربتهن الشعرية المزيد ما دامت حياتهن مستمرة.

وبعد فهذه خاتمة البحث الذي أعددته عن الاتجاه الثوري في الشعر النسائي العربي بين جيلين (نماذج مختارة) أقدمها لكم آملة أن أكون قد وفقت فيها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

(1) ابتسام المتوكل، ديوان شذى الجمر، الهيئة العامة للكتاب، شارع بغداد، اليمن، ط1، 1998م.
(2) ابتسام المتوكل، ديوان يشبه موتها، الهيئة العامة للكتاب، شارع بغداد، اليمن، ط1، 2002م.
(3) جليلة رضا، ديوان (أنا والليل)، الناشر مكتبة مصر، مصر، ط1، 1961م.
(4) جليلة رضا، ديوان (اللحن الثائر)، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1956م.
(5) جليلة رضا، ديوان (لمن أغني)، الهيئة العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ط2، 2009م.
(6) روضة الحاج، ديوان في الساحل يعترف القلب، إيثار للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ط3، 2011م.
(7) روضة الحاج، ديوان (للحلم جناح واحد)، إيثار للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ط2، 2009م.
(8) سعاد الصباح، ديوان (إليك يا ولدي)، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992م.
(9) سعاد الصباح، ديوان (أمنية)، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992م.
(10) سعاد الصباح، ديوان (فتافيت امرأة)، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992م.

(11) سعاد الصباح، ديوان (برقيات عاجلة إلى وطني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1990م.
(12) عائشة المغربي، ديوان (الأشياء الطيبة)، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 1986م.
(13) عائشة المغربي، ديوان (البوح بسر أنثاي)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 1996م.
(14) عائشة المغربي، ديوان (صمت البنفسج)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 2006م.
(15) فدوى طوقان، ديوان (اللحن الأخير)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000م.
(16) فدوى طوقان، ديوان (الليل الفرسان)، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1969م.
(17) فدوى طوقان، ديوان (أمام الباب المغلق)، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1967م.
(18) فدوى طوقان، ديوان (وحدي مع الأيام)، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1952م.
(19) فدوى طوقان، ديوان (تموز والشيء الأخر)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1987م.
(20) فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ط2، 2015م.
(21) نازك الملائكة، ديوان (ويغير ألوانه البحر)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط3، 1998م.
(22) نازك الملائكة، ديوان شعر، المجلد الثاني (قرار الموجة، وشجرة القمر)، دار العودة، بيروت، ط2، 1979م.
(23) نازك الملائكة،ديوان (للصلاة والثورة)، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002م.
(24) وفاء العمراني، ديوان (تمطر غيابًا)، منشورات بيت الشعر، المغرب، ط1، (د.ت).

ثانيًا: المراجع:

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (طبعة جديدة منقحة)، 2000م.
(2) سعاد الصباح، هل تسمحون لي أن أحب وطني، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 1997م.
(3) سعد بن عبد الله السبر، حب الوطن، مطابع الحميضي، السعودية، ط1، 1436هـ.
(4) عبد الرضا علي، نازك الملائكة الناقدة، دار الحكمة، لندن، ط2، 2013م.
(5) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1981م.
(6) علي المسعودي، دراسات أدبية في شعر سعاد الصباح، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2014م.
(7) فدوى طوقان، (رحلة جبلية، رحلة صعبة)، سيرة ذاتية، الجزء الأول، دار الشروق، عمان، الأردن، ط3، 1988م.
(8) فدوى طوقان، الرحلة الأصعب، سيرة ذاتية، الجزء الثاني، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1993م.
(9) قريرة زرقون، الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث (بداياتها، اتجاهاتها، قضاياها، أشكالها، أعلامها)، الجزء الأول، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2003م.
(10) ماجد أحمد السامرائي، الموجة القلقة (نازك الملائكة)، منشورات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، الجمهورية العراقية، ط1، 1975م.
(11) مجمع اللغة العربي، المعجم الوسيط، الجزء الأول، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.
(12) مها خير بك ناصر، هدم وبناء، منشورات شركة النور، بيروت، ط1، 2002م.

(13) وجدان الصائغ، نقوش أنثوية (قراءات في النص النسوي)، اتحاد الأدباء والكُتاب، صنعاء، 2003م.
(14) يحيى الشامي، فدوى طوقان ورحلة العذاب، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2003م.
ثالثًا: الدوريات:
(1) تنيضب الفايد، جريدة الرياض، السعودية،العدد 14301، الخميس 22 محرم 1426هـ/ 3 مارس 2005م.
(2) خلود الفلاح، مقال عن عائشة المغربي (على المبدع أن يناضل ضد بشاعة العالم)، صحيفة العرب، لندن، 1977م، العدد 5092، نشر في2014/6/17م.
(3) سامي خشبة، رئيس تحرير المجلة الثقافية الجديدة (نازك الملائكة وتجديد الشعر العربي)، ملف خاص، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، العدد 205، أغسطس 2007م.
رابعًا: الرسائل الجامعية:
(1) فطيمة وراد، الثورة الجزائرية في شعر عبد الوهاب البياتي، رسالة ماجستير ، إشراف الأستاذ: لخضر تومي، جامعة محمد خضر، بسكرة، الجزائر، 2017م.
(2) لؤي شهاب محمود، دراسة تحليلية في شعر الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، العراق، 2014م.